المبحث الثاني

جهود الفلاسفة وعلماء الغرب وعلماء العربية المحدثين[1] في الدراسات الصوتية:

المطلب الأوَّل: جهود الفلاسفة اليونان والعرب في الدراسات الصوتيَّة:

❖ الفلاسفة اليونان والإغريق:

بدأت دراسة الصوت في العصور القديمة، وقد قدَّموا جهوداً كبيرة في الأصوات اللغويَّة والأنغام وغير ذلك، فقد أجرى فيثاغورث، الفيلسوف وعالم الرياضيات الإغريقي، منذ القرن السادس قبل الميلاد، تجارب على الأصوات، التي تُحدِثها الخيوط المهتزة. ويقال إنَّه هو الذي اخترع مقياس الصوت، الذي يستعمل في دراسة الأصوات الموسيقية.

وفي نحو عام ٤٠٠ قبل الميلاد، ذكر عالم إغريقي، اسمه أرخيتاس، أنَّ الصوت ينتج من حركة جسم، يصطدم بآخر. وبعد نحو ٥٠ عاماً، ذكر الفيلسوف الإغريقي، أرسطو، أنَّ الصوت يُحمل إلى آذاننا بوساطة حركة الهواء. ومنذ ذلك الحين، وحتى نحو ١٣٠٠م، لم تُجرَ في أوروبا أبحاث علمية تُذكر. غير أنَّ العلماء، في العالم العربي والإسلامي، والهند، طوّروا بعض الأفكار الجديدة في شأن الصوت، بدراسة الموسيقى، واستحداث نُظُم في نظريتها.

---

(١) العلماء المحدثون: مصطلح يراد به علماء العربيَّة منذ قيام دولة محمَّد عليّ في مصر حتَّى يومنا هذا؛ لأنَّ العرب في هذه المدَّة انفتحوا على الدراسات الغربيَّة، فتأثَّروا بها وبمناهج الغربيِّين، فأنتج هذا التأثُّر قيام دراسات جديدة امتزج فيها القديم بالجديد فكانت دراساتهم متميِّزة عن سلفهم.

وأمَّا الفلاسفة المسلمون فقد كانت لهم جهود عظيمة في الدراسات الصوتيَّة وسأبيِّن بعض هذه الجهود في ما يأتي:

❖ **ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبدالله (ت: ٤٢٨هـ)**: وضع ابن سينا رسالة متخصصة نادرة في الأصوات أسماها (أسباب حدوث الحروف)[١]، وقد كان متمرساً فيها للإشارات الصوتية وتمييزها في الأسماع، وتحدث عن مخارج الأصوات وغضاريف الحنجرة، وعرض للفم واللسان تشريحياً وطبياً وتركيبياً، وعني عناية خاصة بترتيب مخارج الصوت العربي مقارناً باللغات الأخرى بحسب تركيب أجهزة الصوت الإنساني، وبحث مميزات الحرف العربي صوتياً، وحكم جهازه السمعي في معرفة الأصوات وأثر تذبذبها.

وقد أبان ابن سينا، في رسالة له، بعنوان "أسباب حدوث الحروف"، أنَّ الصوت ينتج من تموّج الهواء دفعة، وبقوة، وسرعة. ولم تقف إسهامات العلماء العرب عند تعريف الأصوات، بل تعدَّتْ ذلك إلى تطبيق مبادئ علم الفيزياء، في الأصوات، على الموسيقى، وذلك نحو عام ٤٢٥هـ-١٠٣٣م.

وقد ثبت علمياً أنَّ الصوت اهتزازات محسوسة في موجات الهواء، تنطلق من جهة الصوت، وتذبذب من مصانعه المصدّرة له، فتسبح في الفضاء حتى تتلاشى، يستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها، فرحاً أو حزناً، نهياً أو أمراً، خبراً أو إنشاء، صدى أو موسيقى، أو شيئاً عادياً مما يفسره التشابك العصبي في الدماغ، أو يترجمه الحس المتوافر في أجهزة المخ بكل دقائقها، ولعل في تعريف ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ) إشارة إلى جزء من هذا التعريف، من خلال ربطه الصوت بالتموج، واندفاعه

(١) أسباب حدوث الحروف، طبعت في القاهرة، ١٣٣٢ هـ-١٣٥٢هـ.

بسرعة عند الانطلاق، فهو يقول: «الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان»[1].

ولا كبير أمر في استعراض تمرس علماء العربية بهذا النمط من الدراسات والتحديدات، وهذا النحو من تلمس الصوت فيزيائياً، وقياس سرعته ومساحته أمواجياً فقد سبق إليه جملة من الباحثين [2].

❖ **إخوان الصفا**: قدَّم إخوان الصفا، في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، موجزاً شاملاً، في علم الأصوات وعلم الموسيقى، وعرَّفوا الصوت بأنَّه قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجرام... وأنه يتموَّج إلى جميع الجهات". وقسموا الأصوات إلى أربعة أنواع: جهيرة وخفيفة وحادة وغليظة. وعَزَوا ذلك إلى طبيعة الأجسام، وقوة تموّج الأصوات. وقد أبان ابن سينا، في رسالة له، بعنوان "أسباب حدوث الحروف"، أنَّ الصوت ينتج من تموّج الهواء دفعة، وبقوة، وسرعة. ولم تقف إسهامات العلماء العرب عند تعريف الأصوات، بل تعدَّتْ ذلك إلى تطبيق مبادئ علم الفيزياء، في الأصوات، على الموسيقى، وذلك نحو عام ٤٢٥هـ-١٠٣٣م.

❖ جهود علماء الغرب في الدراسات الصوتيَّة:

لم يشرع العلماء الأوربيون في تجارب موسعة على طبيعة الصوت، إلا في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، حين وضَّح الفلكي والفيزيائي الإيطالي، جاليليو، بالتجربة، أن تردد موجات الصوت، هو الذي يحدد طبقته. لقد عمد إلى حك قاطعة ذات أسنان على سطح لوح من النحاس، فأحدث صوتاً حادّاً؛ نتج من الأخاديد، التي تركتها الأسنان على اللوحة.

---

(١) أسباب حدوث الحروف: ٧.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ١٢٩-١٤٥، وفي البحث الصوتي عند العرب: ٦، ١١.

وفي نحو عام ١٦٤٠م، تمكن مارن ميرسين، وهو عالم رياضيات فرنسي، من إجراء أول قياس لسرعة الصوت في الهواء. وبعد نحو عشرين عاماً، أثبت الكيميائي والفيزيائي الأيرلندي، روبرت بويل، بالتجربة، أنَّ موجات الصوت، لا بدّ أن تنتقل في وسط ما. وقد برهن بويل على أنَّه لا يمكن سماع صوت جرس، داخل جرة أُفرغ منها الهواء. وفي أواخر القرن السابع عشر الميلادي، صاغ العالم الإنجليزي، إسحاق نيوتن، علاقة، تكاد تكون صحيحة، بين سرعة الصوت في وسط ما، وبين كثافته وقابليته للانضغاط.

وفي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، أوضح دانيال برنولي، وهو رياضي سويسري، أن الخيوط يمكن أن تهتز، عند أكثر من تردد، في آن واحد. وفي أوائل القرن التاسع عشر، طوَّر رياضي فرنسي، اسمه جان بابتست فورير، طريقة رياضية، يمكن أن تُستخدم في تحليل موجات الصوت المعقدة، إلى النبرات البسيطة، التي تتكون منها. وفي الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، درس هيرمان فون هيلمولتز، وهو فيزيائي ألماني، تداخل موجات الصوت، وإنتاج الضربات، وعلاقة كلٍّ منهما بإحساس الأذُن بالصوت.

ثمَّ قام بعد منتصف القرن التاسع عشر جزء كبير من علم الصَّوت الحديث عند علماء الغرب، على مبادئ الصوت، الموجودة في كتاب "نظرية الصوت" لمؤلِّفه الفيزيائي البريطانيِّ البارون رايلي، عام ١٨٧٨م. وعلى الرغم من أنَّ الكثير من خصائص الصوت معروفة، منذ ذلك الوقت الطويل، إلا أنَّ علم الصوت، استمر يتوسع في مناطق أخرى من العالم. وفي الأربعينيات من القرن العشرين، وضَّح جورج فون بيكيسي، وهو فيزيائي أمريكي، كيف تميِّز الأذن بين الأصوات. وفي الستينيات من القرن العشرين، توسع علم

الصَّوتيات سريعاً، استجابة للاهتمام المتزايد بتأثيرات التلوث الضجيجي، الفيزيائية والنفسية الضارة.

وشملت بحوث علم الصَّوتيات، في سبعينيات القرن العشرين، دراسة الاستعمالات الجديدة للموجات فوق الصوتية، وتطوير معَدات فوق سمعية أفضل. وخلال أوائل الثمانينيات، شمل البحث أجهزة أفضل، لإعادة إنتاج الصوت وتطوير الحواسب، التي تستطيع أن تفهمه، وتعيد إنتاجه. كما درس مهندسو علم الصَّوتيات الاستخدامات الممكنة، للموجات تحت الصوتية، أي: الصوت الذي يكون تردده أقلّ من مدى السماع المباشر.

ومن المصادر التي قدَّموها في هذا الشأن:

١- قائمة مواضيعِ الصوتياتِ (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٢- أبجدية صوتية دولية (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٣- معالجة خطابِ (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٤- عِلْم الصوتيات (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٥- قائمة كلمةِ بايومَترِك (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٦- أقسام صوتياتِ في الجامعاتِ (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٧- إكس إس أي إم بي أي (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٨- أبجدية منظمة حلف شمال الأطلسي الصوتيةِ (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

٩- مجموعة بوكاي (مصدر باللغة الإنجليزيَّة).

المطلب الثاني: جهود علماء العربية المحدثين[1]، والأثر العربيُّ في الدراسات الصوتيَّة الغربيَّة

❖ جهود علماء العربية المحدثين:

لقد انكب كثير من علماء العرب المحدثين على دراسة علم الأصوات، وقد كانوا في ذلك ثلاثة فرق: فريق تأثر بما جاء به علماء العرب السابقون، ولم يتجاوزه، وفريق تأثّر بما قدمه علماء الغرب في الدرس اللغوي الحديث، ولم ينتفع بتراث العرب في علم الأصوات، وفريق ثالث، جمع بين الأمرين، أفاد من مناهج الغربِيّين الحديثة، وأخذ من الجهود التي توصل إليها أسلافه، ومن الأسماء التي لمعت في ميادين الدراسة الصوتية في هذا العصر:

١- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، موسيقى الشعر، دلالة الألفاظ.

٢- محمود السعران: علم اللغة.

٣- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة.

٤- كمال محمد بشر: علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات.

٥- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي.

٦- علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، علم اللغة.

٧- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة.

---

(١) العلماء المحدثون: مصطلح يراد به علماء العربيَّة منذ قيام دولة محمَّد عليّ في مصر حتَّى يومنا هذا؛ لأنَّ العرب في هذه المدَّة انفتحوا على الدراسات الغربيَّة، فتأثَّروا بها وبمناهج الغربيِّين، فأنتج هذا التأثُّر قيام دراسات جديدة امتزج فيها القديم بالجديد فكانت دراساتهم متميِّزة عن سلفهم.

٨- عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة.

٩- محمد أحمد أبو الفرج: فقه اللغة.

١٠- محمد المبارك: فقه اللغة.

١١- عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية؛ اللهجات العربية في القراءات القرآنية.

١٢- محمود حجازي: علم اللغة العربية.

١٣- الطيب البكوش: التصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث.

١٤- عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسِّان الحديث.

١٥- رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية.

١٦- داود عبده: دراسات في علم أصوات العربية.

١٧- إبراهيم السامرائي: دراسات في اللغة؛ فقه اللغة المقارن.

١٨- عبد الصبور شاهين: المنهج الصِّوتي للبنية العربية.

١٩- صالح القرمادي: دروس في علم أصوات العربية (مترجم).

٢٠- فاطمة محمد محجوب: دراسات في علم اللغة.

٢١- يوسف الخليفة أبو بكر: أصوات القرآن.

❖ الأثر العربيُّ في الدراسات الصوتيَّة الغربيَّة:

ليس جديداً القول بسبق العرب إلى تأصيل نظرية الصوت اللغوي، واضطلاعهم بأعباء المصطلح الصوتي منذ القدم، وبحثهم تغيرات الصوتيَّة والدلالة المترتِّبة على ذلك، وممَّا امتازت به جهود علماء العربيَّة في الدراسات الصوتيَّة، ارتباط الصوت بالتصريف، أو بالبناء الصرفيِّ، ذلك أنّ صلة

الأصوات وثيقة في الدرس الصّرفي عند العرب في كل جزئياته الصوتية، فكان ما توصل إليه العرب في مضمار البحث الصرفي عبارة عن استجابة فعلية لمفاهيم الأصوات قبل أن تتبلور دلالتها المعاصرة، فإذا أضفنا إلى ذلك المجموعة المتناثرة لعناية البحت النحوي بمسائل الصوت خرجنا بحصيلة كبيرة متطورة تؤكد النظرية الصوتية في التطبيق مما يعد تعبيراً حيّاً عن الآثار الصوتية في أمهات الممارسات العربية في مختلف الفنون.

فكان لعلماء العربية المتقدِّمين بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون الأوربيون أنَّها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربيّ، ولا سيما في الترتيل القرآنيّ، ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربيَّة، وإتصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحسّ، دقيقي الملحوظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفاً أثَارَ دهشة المستشرقين وإعجابهم[1]، وهذه البحوث الصوتية التي سبق إليها علماء العربية فأثارت دهشة المستشرقين، وأفاد منها الأوروبيون في دراساتهم اللغويَّة والصوتيَّة بخاصَّة إذ اتَّسمت بالدقَّة واعتمدت أجهزة التشريح، وقياس الأصوات في ضوء المكتشفات، وقد أثبتت جملة من الحقائق الصوتيَّة، كان قد توصل إليها الأوائل عفوياً، في حسّ صوتي تجربته الذائقة الفطرية، وبعد أن تأصَّلت لديهم إلى درجة النضج، قدّمت منهجاً رصيناً رسّخ فيه المحدثون مباحث الدرس الصوتي الجديد في المفردات والعرض والأسلوب والنتائج على قواعد علمية سليمة.

لقد كان ما قاله المرحوم الأستاذ مصطفى السقا وجماعته في مقدمتهم لسر صناعة الإعراب ملحظاً جديراً بالاهتمام... «والحق أن الدراسة الصوتية

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٥.

قد اكتملت وسائلها وموضوعاتها ومناهجها عند الأوروبيين، ونحن جديرون أن نقفو آثارهم وننتفع بتجاربهم، كما انتفعوا هم بتجارب الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا في بدء دراساتهم للأصوات اللغوية»[1] فالأوروبيون أفادوا من خبراتنا الأصيلة. فهل نحن منتفعون؟

لقد توصل العرب حقاً إلى نتائج صوتية مذهلة أيدها الصوت اللغوي الحديث في مستويات هائلة نتيجة لعمق المفردات الصوتية التي خاض غمارها الروّاد القدامى، وقد أيد هذا التوصل إثنان من كبار العلماء الأوروبيين هما: المستشرق الألماني الكبير الدكتور براجشتراسر، والعالم الانكليزي اللغوي المعروف الأستاذ فيرث.

أ – يقول الدكتور براجشتراسر في معرض حديثه عن علم الأصوات: «لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان: العرب والهنود»[2].

ب– ويقول الأستاذ فيرث: «إنَّ علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما: السنسكريتية والعربية»[3].

والعرب مقدمون على الهنود في النص الأول، لأنَّهم أسبق، والسنسكريتية في النص الثاني لغة بائدة آثارية، والعربية خالدة.

ومن أمثلة سبق العرب في الدراسات الصوتيَّة:

١– لقد أهتم علماء الأصوات الغربيّون المحدثون بوصف الجهاز الصوتي، وبيان وظيفته في تفصيل دقيق استعانوا على تحقيقه بعلم الصوت العضويِّ،

---

(١) سر صناعة الاعراب، مقدمة التحقيق: ١٩.

(٢) التطور النحوي، براجشتراسر: ٥٧.

(٣) ينظر: البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر: ١٠١.

فأعطوا ثمرات جيدة ومفيدة، ولكنها لا تختلف إلا قليلاً عن معطيات قدماء العرب، ولقد اقتصر العالم اللغوي دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣م) أبرز لغوي أوروبي في العصر الحديث، اقتصر في وصفه لجهاز الصوت على تجويف الأنف، وتجويف الفم، والحنجرة بما في ذلك فتحة لسان المزمار الواقعة بين الوترين الصوتيين، وكانت المفردات التي أخضعها للدراسة عبارة عن الشفتين، واللسان، والأسنان العليا، والحنك، واللهاة.

منتهياً إلى أنَّ العناصر التي تسهم في إخراج الأصوات هي: الهواء إلى الخارج، والنطق في الفم، وتذبذب في منطقة الحنجرة، والرنين الأنفي[1].

إذن: اندفاع الهواء من الرئتين والنطق في الفم والتّصويت في الحنجرة والرنين في الأنف يحدث الأصوات.

بهذا أعطى دي سوسير تفصيلاً مكثفاً لإحداث الأصوات وتوليدها من أجهزتها، ولكن هذا التفصيل لم يكن ليتأتى له لولا تطور الدراسات الصوتية عضويّاً وفيزيائياً وتشريحياً، أما الخليل فقد اهتدى لذلك فطرياً على وجه العموم، واكتشف ولأول مرة كل التفصيلات الصحيحة لجهاز النطق وإحداث الصوت بذهنيته الوقادة دون الاستعانة بأي علم يتسع لمثل إبداعاته الصوتية في بيئته البدوية.

ولم يكن فهم الخليل لأبعاد إحداث الأصوات بمنأى عن الفهم عند دي سوسور، بل لقد زاد عليه، كما مرَّ في كثير من الخصائص والمزايا التي قد تعدَّ أولية في مدرسة الخليل الصوتية- تنم عن إدراك متكامل للموضوع، وتمرس عميق في قضايا صوتية معقدة.

---

(١) ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير: ٦٠.

٢- يقول دي سوسير: «إنَّ المادة الصوتية ليست أكثر ثبوتاً، ولا أشد تحديداً من الفكر: وهي ليست قالباً يصب فيه الفكر بالضرورة، بل هي مادة مرنة تنقسم في كل حالة إلى أجزاء متميزة لتوفر الدوالّ التي يحتاج إليها الفكر. وبذلك يمكن أن نتصور الحقيقة اللغوية في مجملها على أنَّها سلسلة من التقسيمات المتجاورة التي حددت على مستويين المستوى غير المحدد للأفكار المكدسة، ومستوى الأصوات، إنَّ الدور المميز للغة بالنسبة للفكر ليس وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار، بل القيام بوظيفة حلقة الوصل بين الفكر والصوت، في ظروف تؤدي بالضرورة إلى التمييز المتبادل لوحدات الفكر والصوت»[١].

إنَّ هذا المنحنى من التخطيط الصوتي هو الذي يرمي اليه الخليل في مقدمة العين ليخلص إلى صلة التفاعل الحقيقي بين الأفكار والأصوات، بل إنه يحصر ما في كتاب العين من لغة وتصريف واشتقاق بمنطق تذوقه لأصوات حروف المعجم «فإذا سئلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها، فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المقدم (يعني مقدمة العين) فهو ذلك الكتاب "العين"[٢]، فهو يرى أنَّ اللغة امتداد طبيعي للأصوات أولاً فيربطها بها ارتباط الأصل بالفرع، ونعني بذلك ربط الأصوات أصلاً، باللغة باعتبارها متفرعة عن الأصوات.

٣- من أهم ما توصل إليه الخليل في علم الصوت حصره للمعجم العربي بأبعاد صوتية فضلاً عن وصف الأصوات منفردة ومجتمعة منضمّة إلى

---

(١) علم اللّغة العام، دي سوسير: ١٣١ وما بعدها.

(٢) العين: ٥٢/١.

سواها بوضعه حداً جديداً، ومعياراً فنياً متوازناً، للكلمات العربية باشتمالها على الحروف الذلقة والشفوية؛ وللكلمات الأعجمية التي لا تشتمل على واحد من حروف الذلاقة والشفة، هذا المقياس الفني الصوتي لدى الخليل لم يخطئ ولا مرة واحدة حتى في كلمة واحدة، فيما له من مقياس ما أكلمه، يقول الخليل: «فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أنَّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب، لأنَّك لست واجداً من يسمع من كلام العرب بكلمة واحدة رباعية أو خماسية إلاّ وفيها من حروف الذلق أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر»[1]، فهو هنا وبحِسٍ صوتي جامع مانع: يدرأ الدخيل والمعرّب والمولّد والمحدث والمبتدع عن لغة العرب، وتلك ميزة ما بعدها ميزة في هذا الخضم المتلاطم من الكلمات واللغات.

فكان الخليل ضليعاً بكل تفصيلات الجهاز الصوتي عند الإنسان، ولا يضيره -إن صح ما يقال: أن لا يذكر الوترين الصوتيين، لأنه ليس عالماً بالتشريح، ولا متخصصاً بجراحة الحنجرة، وما اضطلع بمهمة طبية قط، وما ذكره من أجزاء هذا الجهاز فيه الكفاية لعصره إن لم نقل للعصور كافة، لأنه قد تضمن بكثير من الأبعاد الإشارة لهذه المباحث التي تفرغ لها الغربيُّون.

٤- أمّا ابن جني فقد حدَّد مخارج الحروف بستة عشر مخرجاً، ناظراً إلى موقعها في أجهزة النطق، ومنطلقاً معها في صوتيتها، ويسير ذلك بكل

(١) ينظر: العين: ١/٤٩-٥٠.

ضبط ودقة وأناقة، فيقول: واعلم أنَّ مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثمَّ يأتي على ذكرها واحدا واحدا بالتفصيل[1]، فيقدِّمها بدقة متناهية، ممَّا جعل تأصيله هذا أساساً لما تواضع عليه الأوربيون باسم "التشكيل الصوتي" أو هو "النظام الصوتي" في تسمية دي سوسير له[2].

الخلاصة:

هذه النظرية الصوتية عند العرب عبارة عما توصل إليه العرب من خلال تمرسهم وتجاربهم بنظريات نحوية وصرفية وبيانية وصوتية وإيقاعية وتشريحية شكلت بمجموعها «نظرية الصوت» وهي في تصور تخطيطي تشمل المنظور الآتي:

١- النظرية العربية في الأبجدية الصوتية على أساس المخارج والمدارج والمقاطع كما عند الخليل وسيبويه والفرّاء.

٢- النظرية العربية في أجهزة النطق وأعضائه، وتشبيهه بالناي تارة، وبالعود في جسّ أوتاره تارة أخرى كما عند ابن جنِّيٍّ.

٣- النظرية العربية في ربط الإعلال والإبدال، والترخيم والتنغيم، والمدّ والإشمام بعميلة حدوث الأصوات وإحداثها.

٤- النظرية العربية في التلاؤم بين الحروف وأثره في سلامة الأصوات، والتنافر فيها وأثره في تنافر الأصوات.

٥- النظرية العربية في أصول الأداء القرآني، وعروض الشعر وإيقاع التلاؤم الصوتيِّ، وعلاقة ذلك بالأصوات.

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/٦٠-٦١.

(٢) ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير.

٦- النظرية العربية في التوصل إلى معالجة التعقيدات النحوية، والمسوغات الصرفية في ضوء علم الأصوات.

هذا العرض الإشاري لنظرية الصوت اللغوي، يكفي عادة للتدليل على أصالة النظرية عند العرب، دون حاجة إلى استجداء المصطلحات الأجنبية، أو استحسان الجنوح إلى الموارد الأوروبية، فبحوث العرب في هذا المجال متوافرة، وقد يقال: إنَّ التنظيم يعوزها، وأنها تفتقر إلى الترتيب الحديث، للإجابة عن هذه المغالطة نضع بين أيدي الباحثين المنصفين: الفصل الثاني من هذا الكتاب بين يدي الموضوع، والذي نطمح أن يكون مقنعاً بأمانة وإخلاص في إثبات تنظيم البحث الصوتي، وسلامة مسيرة الصوت اللغوي، وموضوعية العرض دون تزيد أو ابتسار في علم الأصوات وعالمها، كما أنَّ خلاصة تجارب الغربيِّين في المصطلح الصوتي كانت نتيجة حرفيَّة لمدلولات النظرية الصوتية عند العرب في نتائج ما توصل إليه علماؤهم الأعلام.